

دلائل حب الإنسان ﷻ تعالى



«إذا أردنا أن نختبر أنفسنا في معرفة مدى حبنا ﷻ عز وجلّ، فثمة دلائل وإشارات وأسئلة، تنبئ من خلال طرحها بصراحة الإجابة عنها بصدق على مستوى هذا الحب، ومن ذلك

- استصغار الطاعة واستعظام الذنب:

سأل أعرابي الإمام عليّ (ع) عن درجات المحبّين، فقال (ع): «أدنى درجاتهم مَنْ استصغَرَ طاعته واستعظَمَ ذنبه، وهو يظنّ أن ليس في الدارين مأخوذٌ غيره. فغشي على الأعرابيّ (غاب عن الوعي)، فلمّا أفاق، قال: هل درجة أعلى منها؟ قال: نعم، سبعون درجة!!»

إنّ (استصغار الطاعة) و(استعظام الذنب) كفيّان بإصلاح حال المحبّ ورفع درجته عند الله. بل أنّ بعض المحبّين يطلبون إلى الله تعالى أن يُنسيهم حسناتهم وأعمالهم الصالحة، حتى لا يشعروا بحالة المنّ ويسألوه أن يضع سيئاتهم ومنكراتهم دائماً تحت أعينهم حتى يتوبوا ويستغفروا ويستدركوا.

واستصغار الطاعة ليس حالة تواضعية فقط. بل إنّ الإنسان المُطيع لو قارن نفسه بأهل الطاعة من الأنبياء والأوصياء والأولياء والعلماء، لرأى أنّ أعماله في قبال أعمالهم قطرات في بحر. كما أنّ استعظام الذنب ليس مبالغة أو تضخيماً للجرم، بل لأنّ المحبّ الحقيقي لا ينظر إلى مَنْ عصي فيستعظم جرمه وجرأته ووقاحته وتعدّيه، وهذا المنحني التربوي يساعد على الارتقاء في درجات الحبّ.

- عدم اجتماع حُبّين متناقضين في القلب:

قال رسول الله (ص): «حُبُّ الدُّنيا وحُبُّ الله لا يجتمعان في قلبٍ أبداً».

هذا أيضاً مجسّ آخر للاختبار، فحبّ الدّنيا المراد منه الاستغراق والانشغال فيها وبها لدرجة نسيان الله والآخرة، والانصراف عن ذكر الله، والابتعاد عن المسؤوليات الشرعية المترتّب به بذمة كلّ إنسان مكلف، أمّا طلب الدنيا للآخرة فهو من الآخرة، وقد ميّز المحبّون بين الاثنين.

يدخل الإمام عليّ (ع) على صاحبه (عاصم بن زياد) فيرى سعة داره، فيقول له: ما تفعل بهذه الدار وأنت إلى سعتها في الآخرة أحوج؟ ثمّ يستدرك (ع) فيقول: ونعم، إذا قرّبت بها الصيف، ووصلت بها الرحم، وأخرجت منها الحقوق، فقد طلبت بها الآخرة.

وجاء رجل إلى الإمام الصادق (ع) وقال له بأنّه يحبّ الدنيا، فقال له: كيف؟ فقال: أحبّ أن يوسّع الله عليّ فأحجّ وأتصدّق وأصل إخواني وأرحامي، فقال له: هذا ليس طلباً للدنيا بل هو طلب للآخرة.

فالتناقض بين حبّ الله وحبّ الدنيا هو الناتج عن الحبّ الدنيوي الذي يجرّ إلى الأخطاء والخطايا والاستكبار والاعتزاز والتفاخر، وإلّا فالمحبّون لا يرفعون قوله تعالى: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْدَسْ نَفْسِيكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) (القصاص/ 77)، شعوراً للتوازن في حياتهم.

- تحبيب الله تعالى إلى خلقه:

أوحى الله تعالى إلى نبيّه موسى (ع): «أحبّني وحبّ بني إلى خلقي. فقال موسى (ع): يا ربّ إنك لتعلم أنّك ليس أحد أحبّ إليّ منك، فكيف لي بقلوب العباد؟ فأوحى الله تعالى إليه: ذكّرهم نعمتي وآلائي، فإنّهم لا يذكرون مني إلاّ الخير!»

وأوحى سبحانه إلى نبيّه داود (ع): «أحبّ بني وحبّ بني إلى خلقي. قال يا ربّ! نعم أنا أحبّك، فكيف أحبّيك إلى خلقك؟ قال: اذكر أياديّ ونعمتي عندهم، فإنّك إذا ذكرت لهم ذلك أحبّوني». (وأيادي الله: جوده وكرمه وإحسانه وتفضّله وعفوه وصفحه).

إنّ مهمّة المحبّ مشتركة: (حبّ) + (تحبيب)، لأنّه يحبّ لغيره ما يحبّ لنفسه، فهو يريد للآخرين أن يتذوقوا حلاوة حبّ الله، كما تذوّقه هو، أمّا مساحة الجنّة -التي عرضها السماوات والأرض- فتسعهما بل تسع كلّ المحبّين، لو أنّ أهل الأرض كلّهم جميعاً كانوا من المحبّين المطيعين له، لما كانت هناك أزمة سكن في الجنّة.

- حبّ ذكر الله تعالى على كلّ حال:

في الخبر عن رسول الله (ص): «علامة حبّ الله تعالى حبّ ذكر الله» لساناً وقلباً وعملاً وفي المواطن والمواقف كلّها: رخائها وشدّتها، ذلك أنّ من طبيعة المحبّ أنّه يحلو له أن يتغنّى باسم محبوبه، وأن يذكره ويتذكّره في كلّ حين، حتى ليشغل المحبوب أحياناً محبّه فلا يرى الحسن والمحاسن إلاّ فيه... وهذا في حبّ الإنسان للإنسان، والذين آمنوا أشدّ حبّاً لله.

- قيام الليل:

فيما أوحى الله تعالى لموسى (ع): «كذب من زعم أنّّه يحبّني، فإذا جدّه الليل نام عندي، أليس كلّ محبّ يحبّ خلوة حبيبه؟! ها أنا ذا ابن عمران مطلق على أحبائي إذا جدّهم الليل حوّلت أبصارهم من قلوبهم، ومثلت عقوبتي بين أعينهم، يخاطبونني عن المشاهدة، ويكلموني عن الحضور».

الليالي لخلوات المحبين، والليل عند من أحبّ أو أحبه أو، أطيّب وأخصب أوقات اللقاء،
لأنّه أطرّد للرّياء، وأبعد عن صخب النّهار، وأفتح لأسارير القلب، وأرقى في الدرجة.

يقول تعالى مخاطباً حبيبه النّبيّ (ص): (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا
وَأَقْوَمُ قِيلاً * إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا) (المزمل / 6-7).

ليلُ المحبّين -ولعلّك جرّبتَ ذلك في ليالي شهر رمضان وليالي القدر- حافل بفرحة اللقاء
بإِمنّ ومناجاته واحتضانه لمحبيه في كلّ آلامه وآماله. ►